

المحاضرة: المعاجم العربية التراثية المتخصصة

المعاجم الموضوعية: الغريب المصنّف لأبي القاسم بن سلام (نموذجاً)

كانت النواة الأولى التي قامت عليها صناعة المعجم العربي قديماً هي تلك الرسائل والكتب الصغيرة التي جمعها الرواة وعلماء اللغة من أفواه العرب الخلّص في الجزيرة العربية، منذ نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث تقريباً، وكانت هذه الرسائل والكتب تجمع الكلمات المتصلة بموضوع واحد، لا تكاد تتعداه، فكان منها رسائل وكتب الخيل والإبل والشاة والشجر والنبات والوحوش والبئر، وخلق الإنسان وغير ذلك مما أشرنا إليه من قبل.

وقد تراكمت المادة اللغوية التي حوتها تلك الرسائل حتى صارت تجمع شتى الكلمات التي تتصل بعدد من الموضوعات فيما يعرف بـ "معجم المعاني" أو "المعاجم الموضوعية"، وهذا النوع من المعاجم يتجه من المعنى إلى اللفظ ولذلك فإن نظام الوضع فيه يختلف من معاجم الألفاظ، فهو لا يرتب الكلمات حسب أوائل الجذور أو صيغها، إنما يضعها تحت عنوان واحد يضمّ الكلمات المتصلة بهذا العنوان، بمعنى أن هذا النوع من المعاجم يقدم لمن يستعمل المعجم اللفظ الذي يتوافق مع المعنى الذي يدور في خاطره.

اعتمد أبو عبيدة في كتابه الغريب المصنّف على الكتب المؤلفة مثل الأصمعي، وأبو عبيد الأنصاري والكسائي والفراء وأبو عمرو الشيباني، حيث قام بإدخال هذه الكتب برمتها في كتابه وأبوابه وأتبع ترتيبها في بعض الأحيان، والتزم أن ينسب كل قول إلى صاحبه وأن يُنبه على المواضع التي اتفق فيها اللغويون والتزم التنبيه على مواضع الخلاف.

أما شواهدة فهي ما استقاه من غيره مع الاختصار أحياناً، وتتألف هذه الشواهد من القرآن والشعر والأقوال وفي قليل من الأحيان من الحديث.

يتمثل فضل أبي عبيدة القاسم بن سلام في جمع الموضوعات الخاصة في كتاب واحد، وفي جمع الكتب المختلفة في موضوع واحد في كتاب واحد أو في أبواب واحدة من كتابه، وكان دائماً ينسب الأقوال إلى أصحابها، ويذكر من ينقل عنهم، وهذا ما جعله يتميز بالأمانة العلمية وبشهادة العلماء.

الغريب المصنّف ومبدأ الوضع:

قسّم أبو عبيدة الغريب المصنّف إلى كتب وكلّ كتاب يضم عدداً من الأبواب، ولكلّ كتاب عنوان عام يدلّ على محتواه من الألفاظ ثم قسم كل كتاب إلى أبواب لكل باب عنوان خاص هو فرع من موضوع كل كتاب.

أسماء الكتب التي ينقسم إليها الغريب المصنّف وترتيبها كما ذكرها رمضان عبد التواب:

- كتاب خلق الإنسان/ كتاب النساء/ كتاب اللباس/ كتاب الأطعمة/ كتاب الأمراض/ كتاب الخيل/ كتاب السلاح/ كتاب الطيور والهوام/ كتاب الأواني والقذور/ كتاب الجبال/ كتاب الشجر والنبات...الخ.

مثال عن الأبواب:

"باب الألسنة والكلام" :

قال أبو زيد: "الحدّاقى": الفصيح اللسان...البين اللهجة.

والفتيق: مثله.

والمسّلاق: البليغ.

والذليق: مثله."

وقال الأصمعي: "الحليف اللسان: الحديد اللسان.

والهَدْرُ والمُسْهَبُ والمِسْهَك جميعاً: كثير الكلام، فإذا كثر كلامه من خرف فهو: المُفْنَدُ".

الشرح بكلمة مثل:

لا نجد في الغريب المصنف الشرح أو التعريف بكلمات مثل ضدّ أو خلاف أو نقيض وإنما نجد كلمة مثله للدلالة على ترادف المعنى، فمن ذلك قوله: "المِسْلَاحُ: البليغ، والذليق: مثله".

الشرح بكلمة واحدة: مثل: "المسّلاق: البليغ".

الشرح بالسياق:

أ- السياق اللغوي:

ب- أذرع الرجل: إذا أفرط في الكلام

امرأة لخواء: كثيرة الكلام.

ت-السياق الاجتماعي: وهو كثير غير أنه متناثر في ثنايا كتب المعجم وأبوابه، مثال:

ث- العبير: عند أهل الجاهلية الزعفران (في باب أسماء الطعام).

في باب أسماء أنواع الطعام من كتاب الأطعمة يقول:

"يسمى الطعام الذي يصنع عند العرب وليمة:

والذي يصنع عند البناء الوكيرة.

وما صنع عند الختان فهو الإِغْذار .

وما صنع عند الولادة فهو الخرسُ، وما تطعمه النفساء : الخُرسَة .

النقيعة ما صنعه الرجل عند قدومه من سفر، ومثل ذلك كثير .

وصفوة القول أن معجم الغريب المصنَّع هو من المعاجم الموضوعية التي قدمت لنا عينة لغوية فريدة من اللغة العربية البدوية، حتى علم علماء القرن الثاني الهجري فوصفوها بالغرابة على النحو الذي رأينا .